Coptic Orthodox Church
الكنيسة القبطية الأرثوذكسية
دراسات كتابية وآبائية
Biblical and Patristic Studies

حوار بين

فتياننا الأبطال

وأم النور

10

مسيحنا في عرس قانا الجليل

اعداد
القمص تادرس يعقوب ملطي

مسيحنا في عرس قانا الجليل

افتتح الفتى بولس الحوار مع أم النور، قائلاً:

أشكرك يا أم النور، لأنني في كل الحوارات السابقة التي دارت بينكِ وبين بنيكِ الفتيان كان قلبي يلتهب حبًّا نحو ابنك العجيب، المسيّا مخلص العالم. واشتاق من كل قلبي أن أنطلق مع الرسول بولس وأكون مع المسيح فذاك بالحق أفضل جدًا (في ١: ٢٣).

أعترف لكِ يا أمي الحبيبة، كلما سمعت عن مشاعرك في كل الحوارات السابقة كنت أسأل نفسي: إن كانت هكذا هي مشاعر أم النور في الأحداث، فماذا تكون مشاعرها في يوم الرب العظيم وهي ترى البلايين من المؤمنين يتمتعون في ذلك اليوم العظيم برؤية العريس السماوي، ملك الملوك ورب الأرباب وجهًا لوجه، إذ يقول الرسول: "فإننا ننظر في مرآة في لغزٍ، لكن حينئذٍ وجهًا لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة، لكن حينئذ سأعرف كما عرفت" (١ كو ١٣: ١٢).

أسألكِ يا أمي: لماذا بدأ ابنك الحبيب معجزاته بتحويل الماء إلى خمرٍ في عرس قانا الجليل؟ وهل كنت ترافقيه في كل معجزاته وعظاته؟

أجابت أم النور: كنت أُسرّ أن التصق مع صديقاتي المريمات، وكنا جميعًا نتعلم منه ونقتدي به ونطلب بركته. لم أكن أنظر إليه كابن لي فحسب، فأنا لا استحق هذه الكرامة، إنما أتطلع إليه أيضًا كخالقي ومخلصي.

أما بالنسبة لتحويله الماء إلى خمر كباكورة معجزاته، فلم يكن ذلك غريبًا عني. ففي فترة الثلاثين عامًا من يوم ميلاده إلى بدء خدمته وسط الشعب، شعرت أن سعادتي لا تقارن بسعادتي وأنا طفلة مع والدي يواقيم وحنّة، ومع فرحي العظيم بوجودي في الهيكل بأورشليم وبعد ذلك في البيت مع القديس يوسف، لكن وجود هذا الابن العجيب جعلني بالحق أشعر أنني أتذوق عربون السماء. أحيانًا كنت أسأل نفسي: هل في السماء سأجد ما هو أعذب وأحلى مما أتمتع به الآن بوجود ربي يسوع المسيح معي.

كنت من أعماق أعماق قلبي لا أريد أن أفارقه، حتى عند صعوده لم أشعر أنه فارقني، بل سحب قلبي وقلوب تلاميذه ومحبّيه معه إلى السماء! لم أشعر بفراغ داخلي بصعوده بل شعرت أن أبواب الفردوس انفتحت لي ولكل المؤمنين به.

الفتى بولس يسأل: لماذا لم يقل القديس لوقا أن أهل العرس للعرس دعوكِ، إنما دعوا يسوع وتلاميذه؟

أجابت أم النور: إنهم لم يدعوني، لأني لم أكن غريبة عنهم ولا أحتاج إلى دعوة لحضور العرس، بل كنت من أهل العرس، لهذا عندما فرغت الخمر عرفت بذلك وسألت من ابني وربي يسوع أن يتصرف. أما دعوتهم للسيد المسيح وتلاميذه فكانت لنوال العريس والعروس بركة يسوع المسيح.

فيما بعد عرفت أن رب المجد دفعهم سرًا ليدعوه هو وتلاميذه، لأنه لاق به في بدء معجزاته العلنية أن يبارك العرس بكونه رمزًا للعرس السماوي بين العريس السماوي ملك الملوك والكنيسة التي تقوم على شهادة تلاميذه وكرازتهم.

لقد حضر العرس بكونه العريس السماوي، وحضر تلاميذه بكونهم كنيسته المقدسة.

بدأ معجزاته بمباركة عرس قانا الجليل، ليفتح الباب أمام كل مؤمنٍ ليشعر وهو يجاهد في هذا العالم أن نفسه تتهلل، لأن المسيح الساكن فيه هو عريس نفسه، وهو عيده الدائم.

سأل الفتى بولس: لماذا نعتبر خدمة السيد المسيح لنا هي إقامة عرس سماوي بين السيد المسيح كعريس والكنيسة كعروس سماوية؟

أجابت أم النور: هلموا نرى ماذا قال الكتاب المقدس عن خدمة الخلاص كعرسٍ سماوي:

١ دعا السيد المسيح نفسه عريسًا بقوله: "هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم" (مر ٢: ١٩).

٢ قال الرسول بولس: "لأني خطبتكم لرجلٍ واحدٍ لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢ كو ١١: ٣).

٣ في حديث السيد المسيح عن ملكوت السماوات أوضح أنه عرس أبدي:

"يشبه ملكوت السماوات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس" (مت ٢٥: ١).

"يشبه ملكوت السماوات إنسانًا ملكًا صنع عُرسًا لابنه" (مت ٢٢: ٢).

سأل الفتى بولس: لماذا ذهب السيد المسيح إلى عرس في قانا الجليل وليس في أورشليم؟

أجابت أم النور: الاحتفال بالعرس كان في قانا الجليل (يو ٢: ١)، أي خارج اليهودية، إشارة إلى رفض مجمع اليهود العريس السماوي، بينما قبلته كنيسة الأمم بقلبٍ متهلّل. وهو أول زواج مسيحي تمّ في العالم. وقد أكرم السيد المسيح الزواج بحضوره، لكي يزيل العار القديم الخاص بالحبل.

لقد ذهب العريس بنفسه إلى العروس في مدينة الأمم ليخطب العروس الزمنية ويقدّسها بصليبه.

سأل الفتى بولس: لماذا قلتِ يا أمي لابنك: "ليس لهم خمر" (يو ٢: ٣)، خاصة وأنه لم يكن قد صنع عملاً معجزيًّا علانية قبل ذلك، إذ قيل "هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل" (يو ٢: ١١)؟

أجابت أم النور: لم أكن أفكر كيف يعالج ربي الحبيب هذه المشكلة، لكن من خلال الثلاثين عامًا التي عشتها معه منذ ميلاده حتى بداية خدمته أدركت **أمرين هامين**: الأول أنه إله المستحيلات، ليس شيء غير مستطاع لديه، لأنه هو القدير. والأمر الثاني أنه كلّي الحب، بل هو "المحبة" (راجع ١ يو ٤: ٨، ١٦). كما تذكرت كلمات يوئيل النبي: "يا بني صهيون ابتهجوا وافرحوا بالرب إلهكم، لأنه يعطيكم المطر المبكر... وتفيض حياض المعاصر خمرًا وزيتًا" (يؤ ٢: ٢٣-٢٤).

سأل الفتى بولس: "ما هي مشاعركِ يا أمي حين علمتي أن الخمر قد نفذ، الأمر الذي يضع أهل العرس في موقف صعب؟

أجابت أم النور: منذ طفولتي المبكرة كنت أشعر أن اللّه هو قائد حياة المؤمنين به، فلا يليق بهم أن يرتبكوا في شيء مهما بدى الأمر خطيرًا، ومنذ لحظة بشارة رئيس الملائكة جبرائيل لي شعرت كأن نفسي هي عروس للرب، يقدم لها الرب أكثر مما تسأل وفوق ما تطلب. لهذا عندما عرفت من الخدم ومن بعض أهل العروس أن الخمر فرغت، قدمت الأمر لابني وربي القدير الحكيم ليفعل حسب محبته وحكمته وقدرته. وقلت للخدام: "مهما قال لكم فافعلوه" (يو ٢: ٥).

سأل الفتى بولس: هل من حاجة أن يملأ الخدام الأجران ماء، ويقوم السيد المسيح بتحويل الماء إلى خمرٍ؟

أجابت أم النور: اعتاد اليهود أن يقتنوا ستة أجران يملأونها ماء يستخدمون جرنًا واحدًا كل يوم من الأحد حتى الجمعة، فإذا لحق بهم دنس يغتسلون بالماء الذي في جرن اليوم ليتطهّروا. هذا الماء يغسل الجسد وليس النفس ولا القلب ولا العقل ولا العواطف والأحاسيس. تعجز هذه المياه عن أن تملأ أعماق الإنسان بالفرح الداخلي السماوي. لهذا طلب الرب أن يملأوا الأجران ماءً، ويحوّلها إلى خمرٍ كرمزٍ للفرح الروحي. فيليق بالناموسين أن يدركوا أن الماء عاجز عن تطهير النفس، أما كلمة اللّه المتجسّد فهو العريس واهب الفرح للكنيسة عروسه السماوية ومقدسها.

سأل الفتى بولس: "لماذا قال لك رب المجد يسوع: "مالي ولك يا امرأة؟ لم تأتِ ساعتي بعد" (يو ٢: ٤)؟

أجابت أم النور: لم يلقِ السيد المسيح باللوم على العروسين أو أهلهما، لأنهم لم يُعدّوا خمرًا كافيًا لكل المدعوّين، كما لم يلُمني لأني تدخّلت في هذا الأمر، إنما أوضح لي أن لكل عملٍ وقته وساعته المناسبة.

سأل الفتى بولس: "ولماذا دعاكِ "يا امرأة" ولم يقل: "يا أمي"؟

أجابت أم النور: دعاني هكذا في بدء خدمته الآيات التي كانت تمثل إشارة لبدء حمله الصليب، لذلك أكمل حديثه لي بقوله: "لم تأتِ ساعتي بعد" (يو ٢: ٤). فحين تأتي ساعة صلبه سيقول لي: "يا امرأة هوذا ابنك" (يو ١٩: ٢٦)، مشيرًا إلى القديس يوحنا الحبيب. دعاني "يا امرأة" ليس كمن يتكلم معي بجفاء بل كحكيم في تدبيره للأمور. لعلّه كان ينتظر من أهل العرس أنفسهم يطلبون ذلك.

عندما قال لي: "لم تأتِ ساعتي بعد" أدركت أنه يُقدّر حبي للجميع، ويليق بي أن أحث الخدام على الطاعة له بيقين أنه سيعمل لصالح العرس، لذلك قلت لهم: "مهما قال لكم فافعلوه" (يو ٢: ٥).

طلبت من الخدام الطاعة له، لأنني شعرت أن دوري ودور كل المؤمنين توجيه الأنظار إلى المخلص والطاعة له.

سأل الفتى بولس: لماذا قال لهم يسوع: املأوا الأجران ماءً، فملأوها إلى فوق" (يو ٢: ٧).

أجابت أم النور: إذ تشير المياه التي في الأجران الخاصة بالتطهير إلى الناموس والأنبياء والمزامير (لو ٢٤: ٣٢). فإن كنا أمناء في الناموس يحوّل اللّه مياه الناموس إلى الخمر الروحي الجديد. السماوي، الفائق الجودة.

من وحي عرس قانا الجليل

صرخة من القلب

❖ اسمح لي يا مخلصي أن أتجاسر وأسألك: لماذا قلت لأمك المحبوبة جدًا لديك: "ما لي ولكِ يا امرأة، لم تأتِ ساعتي بعد" (يو ٢: ٤). لقد قال عنكَ الإنجيلي أنك كنتَ خاضعًا لها وللقديس يوسف النجار (لو ٢: ٥١).

❖ لقد اجتاز في نفسها سيف كقول سمعان الشيخ (لو٢: ٣٥) والحق عندما ظهر على بطنها علامات الحبل بك، اتهمها البعض ظلمًا بعدم الطهارة، بهذا اجتاز في نفسها سيف مرة ومرات.

❖ اجتاز في نفسها السيف عندما بدأت الخدمة، لقد كاد حفل العرس أن ينهار علناً، لأنه "ليس لهم خمر" (يو ٢: ٣).

❖ في إيمانها العجيب بإمكانياتك الإلهية قدمت لك صورة مؤلمة لموقف العرس الذي فرغ منه الخمر، وهي تعلم يقيناً أنك وحدك تستطيع علاج الموقف كما يتراءى لك!

❖ سامحني يا سيدي فإنني أتجاسر وأضم صوتي أنا وكل إخوتي المؤمنين من خدام وشعب، إلى صوت أمنا المحبوبة والدة الاله، وفي مرارة نصرخ معها طالبين أن يتحول العالم كله إلى عُرسٍ سماوي أبدي، وها نحن نرنم لك ونسبحك قائلين: "ليس لهم خمر!"

❖ نسبحك يا من قلت لأمك: "ما لي ولكِ يا امرأة، لم تأتِ ساعتي بعد!"

❖ تطلعتَ إليها أيها العجيب في حبك وبذلت نفسك حتى الموت حسب الجسد، موت الصليب، فرأيتها حواء الجديدة، لذلك دعوتها "يا امرأة"، إذ تطلب منك أنت آدم الجديد، أن تقدم خمرًا جديدًا هو دمك المبذول لخلاص العالم، عوض آدم الأول الذي كسر الوصية الإلهية واشتهي الأكل من ثمر شجرة معرفة الخير والشر (تك ٣: ٦)

❖ حقاً أنت هو الكرمة الحقيقية (يو ١٥: ١). رآك إشعياء النبي وأنت تُعصر على الصليب وتقدم لعروسك دمك مهراً لها، فقال: "مَنْ ذَا الآتِي مِنْ أَدُومَ، بِثِيَابٍ حُمْرٍ مِنْ بُصْرَةَ؟ هذَا الْبَهِيُّ بِمَلاَبِسِهِ، الْمُتَعَظِّمُ بِكَثْرَةِ قُوَّتِهِ. أَنَا الْمُتَكَلِّمُ بِالْبِرِّ، الْعَظِيمُ للخلاص مَا بَالُ لِبَاسِكَ مُحَمَّرٌ، وَثِيَابُكَ كَدَائِسِ الْمِعْصَرَةِ؟ قَدْ دُسْتُ الْمِعْصَرَةَ وَحْدِي، وَمِنَ الشُّعُوبِ لَمْ يَكُنْ مَعِي أَحَدٌ" (إش٦٣: ١ -٣).

❖ نشتهي أن يتمتع الكل بدمك المبذول حباً في البشرية. تُقدم الخمر الجديد لكي يسكر المؤمنون بخمر الحب الإلهي، وينعمون بالإنسان الجديد (أف ٤: ٢٤) عوض العتيق الذي شاخ (عب ٨: ١٣). تتسم قلوبهم بالحب وتتحول إلى هيكل للرب يسكنه روحك القدوس (١ كو ٣: ١٦) فيحبون السمائيين والأرضيين، بل ويفرحون بحبهم حتى لأعدائهم.

❖ متى نرى العالم يترنمون قائلين عنك: "أدخلني إلى بيت الخمر، وعلمه فوقي محبة" (نش ٢: ٤). ويرددون بالحق: "هذا عشاء العريس قُدم للعروس، والوعد بالفردوس لحافظ العهد."

❖ هب لنا يا مخلصنا أن تترنم كل الأجيال بروح التهليل، قائلة: "وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يَخلصون" (أع ٢: ٤٧). وذلك بدم صليبك، الخمرً الجديد، مُفرح القلوب.